Journal of Palestine Ahliya University for research and studies
مجلـة جامعة فلسطين الأهلية للبحوث والدراسات
ISSN: 2959-4839
Vol. 01 Issue 01 (2022)

Strategies of Palestinian Resisting Poetic Speech Guidance and Convincingness

Fouad Suliman ✉

Faculty of Arts, Palestine Ahliya University (Palestine)
✉ fsuliman@paluniv.edu.ps

Received:28/05/2022 Accepted:28/06/2022 Published:01/08/2022

Abstract:
The challenges evolving within the Palestinian context compel the resistance poet to formulate novel strategies in response to the oppressive practices of Israeli occupation. As such, the poet's role becomes increasingly critical and fraught with danger, magnified by the harrowing conditions of living within occupied territories or in exile. Consequently, the poet relies on two primary strategies: Guidance and Persuasiveness within their poetic discourse. They aim to confront the shifts and changes impacting the Palestinian context and resist the occupation's policies designed to dominate thought and culture and undermine the Palestinian cause and the right of return. These strategies are of utmost importance: they guide the reader, convince them, and serve as a reminder. They also protect against the risk of being subsumed within the occupation's culture. Thus, the resistant poem comes to encompass aspects of cultural, psychological, and political resistance. This is a response to the vast and escalating conflict with the occupier, who seeks to distort people's beliefs and principles. This study will examine the features of each strategy, illustrating examples from resistance poetry. It will explore the linguistic relationships and devices used in both strategies, examining their influence on meaning. The effective use of evidence and arguments to guide, convince, and deepen understanding is critical. Therefore, the resistance poet must proceed with caution, meticulously selecting linguistic tools that resonate with the situation and context at hand.

Keywords: *Strategy; Poetic discourse; Palestinian resistance poetry.*

Journal of Palestine Ahliya University for research and studies
مجلـة جامعة فلسطين الأهلية للبحوث والدراسات
ISSN: 2959-4839
Vol. 01 Issue 01 (2022)

استراتيجيات الخطاب الشعري الفلسطيني المقاوم

فؤاد سليمان صبح سلمان
جامعة فلسطين الأهلية (فلسطين)
fsuliman@paluniv.edu.ps

تاريخ الاستلام:28/05/2022 تاريخ القبول:28/06/2022 تاريخ النشر:01/08/2022

ملخص:

فرضت التطوراتُ الجديدة على الساحة الفلسطينية على شاعر المقاومة اتباع استراتيجيات جديدة في ظل ممارسات الاحتلال القمعية، وعليه باتت مسؤولية شاعر المقاومة أكثر خطورة؛ نظرا لحالة اليأس التي أحاطت بالفلسطيني في الأرض المحتلة والمنفى، فاستند شعراء المقاومة في خطابهم الشعري إلى الاستراتيجيتين التوجيهية والإقناعية؛ لمواجهة هذه التحولات والتغييرات التي طرأت على الساحة الفلسطينية ومواجهة سياسة الاحتلال التي ترمي إلى التأثير والسيطرة على الفكر والثقافة وتصفية القضية الفلسطينية وإسقاط حقِّ العودة من أجل السيطرة التامة على الأرض، من هنا كانت الحاجة إلى الاستراتيجيتين السابقتين ماسة؛ لتوجيه المتلقي وتذكيره، والحفاظ عليه من الذوبان في ثقافة المحتل، فأصبح الشعر المقاوم يتضمن المقاومة الثقافية، والنفسية، والسياسية؛ بسبب اتساع دائرة الصراع مع المحتل الذي عمل على تشويه القناعات والمبادئ، وفي هذا الإطار ستقف الدراسة على مظاهر كل استراتيجية، والتمثيل عليها من الشعر المقاوم، والكشف عن العلاقات اللغوية وأدواتها في الاستراتيجيتين اللتين وظفهما شاعر المقاومة في شعره، كتوظيف الأدلة والحجة بهدف تحقيق التوجيه والإقناع وتقوية المعنى، الذي يفرض على شاعر المقاومة التأني والدقة في اختيار أدواته اللغوية وفق طبيعة الموقف والسياق المراد التعبير عنه.

الكلمات المفتاحية: *استراتيجية، الخطاب الشعري، شعر الفلسطيني المقاوم.*

1. مقدمة:

إنّ الحديث عن اســتراتيجيات الخطاب في الشــعر الفلســطيني المقاوم دقيق وشــائك؛ إذ إنّه يعود إلى بدايات الشـعر الفلسـطيني المقاوم، وتصـنيف كل مرحلة وفق الاسـتراتيجية الخطابية التي اتبعها الشـعراء، وهذا يفرض على الباحثين إخضــاع قصــائد شــعر المقاومة للدراســة والتمحيص، والوقوف على العلاقة بين طرفي الخطاب، أي الوقوف على اللغة والأساليب المُضمنة في النص الشعري، والقصدية في الخطاب.

وقد تتداخل الاســـتراتيجيات وتتعدد في الخطاب الشـــعري المقاوم؛ للإحاطة بالمعنى، ولتعدد الظروف الخارجية المحيطة بالنص الشعري، وعليه فإنَّ الخطاب المُنجز يكون خطابًا مخططًا له بصفة مستمرة وشعورية، ويقع على عاتق المرسـل اختيار الاسـتراتيجية الملائمة والمناسـبة لتحقيق قصـده[1]، وعليه يكون للاسـتراتيجية جانبان: جانب عقلي يتعلق بالخطط الذهنية، وجانب مادي إجرائي، وفي علم اللســـانيات اللغوية تركز الاستراتيجية على العملية التواصلية في اللغة، وما يتطلب ذلك من استحضـار للوعي بالشـروط السـياقية لفعل الاتصـــال[2] أي توجيه لنشـــاطات الإدراكية إلى الوظيفة المتوقعة ضـــمن النص المخطط له في التفاعل، فالاستراتيجية تنطلق إلى النص قبل أن يكون نصًا، وهي العملية الذهنية الرئيسة التي يتكون على إثرها النص.

والاستراتيجيات الخطابية في الشعر الفلسطيني المقاوم تتنوع وفق طبيعة كل مرحلة فالمرحلة التي سبقت النكبة حتى أواخر الخمســينيات مثّلت بداية الشــعر المقاوم في ظل الانتداب البريطاني ومواجهة العصــابات الصـهيونية مما جعل شـعراء المقاومة الفلسـطينية يتبعون الاسـتراتيجية التضـامنية؛ لطبيعة المرحلة التي تتطلب التضــامن وتعاضــد الشــعب أمام هذا المشــروع الصــهيوني، وعليه أبحر شــاعر المقاومة في ظل هذه الظروف المُعقّدة بشـراع مثقل بالهم والمسـؤولية الكبيرة التي يفرضـها عليه انتماؤه الوطني والقومي، بل والأخلاقي والديني ضــد محتل وظّف كل إمكانياته المهولة في ســرقة الأرض الفلســطينية، وتذويب من بقي فيها في ثقافته، حتى وصــل الأمر به إلى خلق خطاب يعادي الحقيقة ويجمِّل بشــاعة جرائمه ضــد شــعبٍ أعزل حتى يظهر بمظهر المســالم الذي ينشــد الســلام والاســتقرار، في حين يظهر صــاحب الحق بمظهر المعتدي الذي يأبى الســلام والاستقرار.

وفي هذه الدراسة سيتم الوقوف على مرحلتين من مراحل الشعر المقاوم: الأولى وهي المرحلة الممتدة من النكســة حتى بداية الثمانينيات وما شــهدته تلك الفترة من هزائم جديدة وحراك واســع في مخيمات اللجوء داخل الوطن وخارجه، والمرحلة الثانية هي المرحلة الممتدة من منتصــف الثمانينيات حتى الانتفاضــة الثانية، وعمل

(1): الشهري، عبد الهادي. استراتيجيات الخطاب. لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004، ص 26.

(2): يُنظر: مان، فولفجانج. مدخل إلى علم اللغة النصي. (ترجمة: فالح العجمي)، السعودية، جامعة الملك سعود، 1996، ص 314.

شـــاعر المقاومة الفلســـطيني في اســـتراتيجيته الخطابية على الارتقاء لمســـتوى هذا الواقع الجديد، فكان إطار اسـتراتيجيته في المرحلة الأولى قائمًا على التوجيه أو الاسـتراتيجية التوجيهية من أجل توجيه الغضـب الشـعبي المتصاعد في المخيمات، والمدن، والقرى بما فيه مصلحة المخاطب؛ لاسترداد حقه المسلوب.

وعليه أصبح الشاعر في الاستراتيجية التوجيهية صاحب سلطة، ورسالة اجتماعية ثورية يُقدّمها للجمهور موظفًا فيها أدواته، وأساليبه اللغوية في شعره المقاوم، حتى عُرفَ بشعر البطولة والتضحية الذي قاد الجماهير، وارتقى لمستوى الحدث.

2. التحليل والمناقشة:

2.1 الاستراتيجية التوجيهية

وقعت الكارثة وأصـبح الاحتلال واقعًا مفروضًـا على الأرض بعد النكبة، وتشـرّد الفلسـطيني في بقاع الأرض، فانعكس هذا الواقع على الشعر المقاوم في الداخل والمنفى فتطلب ذلك من الشاعر المقاوم الارتقاء إلى مستوى الحدث بعد أن اتضـحت فصـول المؤامرة على فلسطين وفشل المجتمع الدولي في ردع الاحتلال، فباتت الحاجة إلى اسـتراتيجية جديدة توجه وتجمع هذا الشـتات أمرًا ملحًا، وطوَّرَ الشـاعر المقاوم اسـتراتيجية جديدة تجاوزت آليات الاسـتراتيجية التضـامنية التي رافقت النكبة حتى أواخر الخمسـينيات إلى الاسـتراتيجية التوجيهية التي طوّرت نفسها، ولم تعد تعتمد على آليات تأسيس علاقة مشتركة بين الشاعر والمرسل؛ لأن الشاعر في هذه المرحلة ليس بحاجة لآليات ووسائط بينه وبين المخاطب تعرِّفه الواقع الجديد؛ لأن طبيعة المرحلة تبدلت، وأصبح لزامًا على شاعر المقاومة العمل على التوجيه والضغط والتدخل لتبليغ المخاطب بخطورة هذه المرحلة.

وبرز في هذه المرحلة مجموعة من الشـــعراء قامت اســـتراتيجيتهم على التوجيه، ومن أبرزهم محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وفدوى طوقان، وهارون هاشم رشيد، وغيرهم.

وبدا في هذه الاستراتيجية وجود سلطة من نوعٍ ما للمرسل في خطابه الشعري تنبع من الحرص والألم الذي يشعر به، وليس من موقع البرجوازية، أو ما شابهها وإنما هي سلطة تمثل المسؤولية التي يراها الشاعر المقاوم وهي مسـؤولية وطنية وأخلاقية تقع على عاتقه لا بد من تبليغها للمخاطب الذي يشـاركه المصـير في التشـريد والمنفى.

وبرزت في هذه الاستراتيجية معانٍ جديدة تصف المنفى واللجوء مما أعطت الشاعر زخمًا ودافعًا قويًّا لتوجيه المخاطب في الفترة التي تمتد من النكبة 1948–1987 التي شهدت أزمة إنسانية في مخيمات اللجوء، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن شعر هذه الفترة كان فيه لوعة تثير العاطفة، والتزام ينادي بالخلاص[3].

(3): يُنظر: هلال، ناجي. أثر النكبة في الشعر الفلسطيني، مؤتمر الأدباء العرب الخامس، بغداد، 1965، ص 301.

وكان الموضوع الأبرز للشعر المقاوم في هذه المرحلة المطالبة بالعودة إلى الوطن، والتأكيد عليها.

عَائدون عَائدون إنَّنا لـــعائـــــدون
فَالحدود لَن تَكون والقلاعُ والحصون
فَاصْرخوا يا نازحون
إنَّنـــا لَعـــائـــــدون[4]

يأمر الشاعر ويوجه شعبه في المقطع السابق إلى حقّه في العودة إلى الوطن بشكلٍ صريح ومباشر دون التلميح، أو اللجوء إلى وسائط بينه وبين المخاطب. ومن آليات هذه الاستراتيجية الوضوح والمباشرة، يقول توفيق زيَّاد:

أَرضي..! تُرابـــــــــــي..!
كَنزي المنهوب...! تاريخي..
عظامُ أبي وجـــــــــــدي
حـرمت عليَّ، فكيف أغفر؟[5]

اتسمت رسالة الشاعر بالوضوح والمباشرة مما جعل قصده ينفذ إلى المخاطب، ويُوجهه إلى المضمون دون الحاجة للتأويل، أو التفسير، فألفاظه تندرج تحت التوجيه الصريح المُقنع كما في قوله: **(يا أخوتي هذا التراب ترابنا)**.

وتحضر هذه الاستراتيجية في شعر المقاومة الفلسطيني في كثير من المواقف التي يرى فيها الشاعر أن المخاطب يحتاج للتوجيه أكثر من استراتيجية التضامن؛ لطبيعة المرحلة الجديدة التي بات فيها الفلسطيني تائهًا مشردًا ينقصه التوجيه، وتحديد البوصلة أمام المؤامرات، وإجرام عصابات الاستعمار في وطنه، فكان على شاعر المقاومة أن يضمن شعره آليات جديدة تُلبي حاجة المُشرّد في التحرر بعد أن أصبح في مهب الريح بين المنافي ومخيمات اللجوء، فكان لا بد أن يعيد شـــاعر المقاومة الأمل من جديد وألا يترك اليأس يتســـلل إلى النفوس؛ لأنه يشكل خطرًا لا يقل عن خطر التشريد، يقول توفيق زياد مُصوّرًا هذا الطريق الصعب والطويل:

سَنجـــــــــوع.. ونعـــــــــرى
قِطعـــــــا نتقطع
وَنســـــــــف ترابك
يَا أرضـــــا تتوجع
وَنمـــــــوت.. ولكن

(4): رشيد، هارون. الديوان. فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين، 2015، ص 424.
(5): زياد، توفيق. الديوان. رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، 2016، ص 146.

لَن يسقطَ من أيدينا

عَلم الأحرار المشرَّع[6]

ما زال الأمل يطالع الشاعر رغم الألم الذي يسكن ضلوعه؛ ولكنه يبعث برسالة إلى مخاطبه يدعوه إلى الحذر وعدم الاستسلام من جانب، والانتفاع من التجربة التي مرَّ بها المشردون وإن كانت مريرة من جانب آخر.

وتتفاوت أفعال التوجيه في الاستراتيجية التوجيهية على حسب حالة المخاطب، كأفعال الأمر التي تؤدي النصح والإرشاد، وتلبي حاجة المخاطب وحاله دون الشعور بسلطوية بين طرفي الخطاب؛ لأن الفائدة تشمل الطرفين: المرسِل والمرسَل إليه، لذلك يكون قصد الشاعر واضحًا لا لُبس فيه ولا يحتاج إلى التأويل، بل تكسوه الصراحة التي يكون فيها التوجيه بأقصى درجة من الصراحة والوضوح بين طرفي الخطاب[7] يقول توفيق زيَّاد:

كُل ما أدريه أنَّ الأرضَ حبلى
والســـــــــــــــنون
كُل ما أدريه أنَّ الحق لا يفنى
وَلا يقوى عليه غاصـــــــبون
وعلى أرضي هـــــــــــذي
لم يُعمر فاتحـــــــــــون[8]

يُصــرّح الشــاعر أن هذه الأرض لم يعمِّرْ عليها ظالم، أو يســتقر فيها محتل، وهذا يوافق حقيقة تاريخية تتعلق بأرض فلسطين التي لا تذعنُ لاحتلال مهما بلغت سطوته، وهذا الاحتلال لن يختلف عن غيره ممن سبقه ولفظتهم الأرض، وجعلتهم من ذاكرتها التاريخية.

ويكثرُ الشــاعر المقاوم من التأكيد على حدوث الفعل في صــيغة المســتقبل وهذا من الآليات التي يُوظّفها شعراء المقاومة في استراتيجيتهم التوجيهية. تقول سعاد قرمان[9]:

في كُلِّ مبنى قــديم زان حائـطه
نقشٌ أصيل به اسمي وعنواني
سينجلي الحق من أغوار عتمته

(6): زياد، توفيق، مرجع سابق، 2016، ص 96.

(7): Grice, Paul. Studies in the Way of Words. Harvard University Press, 1989.

(8): زياد، توفيق، مرجع سابق، 2016، ص 140.

(9): سعاد عبد الرؤوف قرمان، وُلدت في حيفا عام 1927م، والتحقت بسلك التعليم، من مؤلفاتها الشعرية: حنين الهزار، يُنظر: سعيد، محمد. الشعراء في فلسطين 48 -1948-2016. فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين، ص 183.

وَيظهر الحق للقـــاصي والداني[10]

ويأخذ تأكيد عودة اللاجئين شكلًا من الإيمان الراسخ بالحق المسلوب الذي سيتحقق بعودة المشردين إلى أرضهم، يقول هارون هاشم:

يا أيُّهاَ المتشردون، اللاجئـون، النـازحونْ
مهما تعالى الجائرون، وحُصِّنَ المتجبرون
لا بدَّ يوما يهزمون، ومن الدِّيار سيطردون
يا أرضنا يا موطن الأحـرار إنَّا عائــدون[11]

ويُوظّف شـاعر المقاومة الأسـلوب الخبري في هذه الاسـتراتيجية؛ لتحقيق فعل التوجيه في خطابه المقاوم، يقول سميح القاسم:

غيـر اللــواء الحـــــر لا نتـــرسَّمُ وبغير صكّ جراحنا لا نقســمُ
ولغير قدس الشعب لســـــنا ننحني وبغير وحي الشعب لا نتكلـم[12]

ويُعدّ الاستفهام من العناصر المهمة التي وظفها الشاعر المقاوم في الاستراتيجية التوجيهية؛ للتحكّم في ذهنية المخاطب كما يريد الشاعر ويفرضه الواقع، ولا يُقصدُ من الاستفهام هنا إجابة المرسل إليه بالإيجاب، أو الرفض، وإنما يقصد الشاعر به الاستجابة العملية للمخاطب على أرض الواقع، وترجمة القول بالفعل وذلك بمواجهة التحديات التي يفرضها الاحتلال بعد أن يثير دهشته واستغرابه من الاستفهام، يقول درويش:

إنَّا نحـــب الـــــــــــــــوردَ
لكنَّـــــــــــــا نحب القمح أكثر
فاحموا سنابلكم من الإعصار
بالصّدر المســــــــــــمَّرْ
الأرض، والفلاح، والإصرار
قل لي: كيف تقهرْ؟
هذي الأقانيم الثلاثة
كيف تقهر[13]**؟**

(10): مهنا، سامي. مختارات من شعر المقاومة الفلسطينية في الداخل (48)، فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين، ص 164.

(11): رشيد، هارون. الديوان، مرجع سابق، ص 409.

(12): القاسم، سميح. الأعمال الكاملة. القدس، دار الهدى، 1991، ص 178.

(13): درويش، محمود. الديوان. بيروت، دار العودة، 1994، ص 41.

ويكون التوجيه بالاستفهام أكثر عمقًا إذا كان محصورًا غير مفتوح؛ لأنه يخاطب صاحب القضية والمنفى، يقول حنا إبراهيم[14]:

ألا يحق ونصف القـرن مرَّ بنا أن نسأل الشمس عن أبنائها الجـــدد
عن شعبنا في المنافي كاد يقتله ما كان يحييـــــــه من شوق إلى البلد
هل يخلطـون بقطرانٍ دعاءهم أم يكتفون بما في الصـــوم من أودِ[15]

وجَّه الشاعر الاستفهام لصاحب القضية وصاحب الألم الذي يقف وحيدًا في محيط الصمت ليثيرَ رغبته في العودة، شاحنًا الأمل فيه وإن مضى عليه عقودٌ من الزمن تحت شمس الانتظار الحارقة.

كما وظّف شاعر المقاومة في هذه الاستراتيجية أسلوب الأمر سواء بالفعل المباشر أم باسم فعل الأمر في خطابه للمحتل حتى يُحقّق الفائدة والتوجيه للمتلقي الذي سُلبت هُويته، يقول محمود درويش:

سجل أنا عربي
سجل برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكره الناس ولا أسطو على أحد
ولكني.. إذا ما جعت
آكل لحم مغتصبي
حذار .. حذار من جوعي ومن غضبي[16]

يُحذّر الشاعرُ المحتلَ الذي سأله عن اسمه ورقم بطاقته، باعثًا له رسالة يضمِّن فيها فلسطينيته وعروبته على هذه الأرض التي تُمثّل هويته الواضحة التي لا تحتاج إلى سؤال.

ويعمد شاعر المقاومة في هذه الاستراتيجية أيضًا إلى توظيف النداء؛ لتحفيز المخاطب ولفت انتباهه لأمرٍ مهم، يقول عبد الكريم الكرمي:

يا أيها النسر انطلق في الذرى أَضِيء دروب النجم بالمشعل
يا أيها النسر الحبيب انطلق رفَّ علـى موطـــــننا الأوَّل
حرِّر فلســطين وأرض الحمى وقل لـهذا الليـــل أن ينجلي[17]

(14): ولد حنا إبراهيم في قرية البعنة في الجليل الأعلى عام 1927، منحه ياسر عرفات وسام القدس للثقافة، من مؤلفاته الشعرية: نشيد للناس، يُنظر: سعيد، محمد، مرجع سابق، ص 119.

(15): مهنا، سامي، مرجع سابق، ص 106.

(16): درويش، محمود. الديوان. مرجع سابق، ص 71-74.

(17): الكرمي، عبد الكريم. النسر العربي، بيروت، دار العودة، 1987، ص 329.

ومن مظاهر الاستراتيجية التوجيهية في شعر المقاومة الفلسطينية إيراد بعض ألفاظ اللهجة المحلية؛ لإيجاد علاقة مع المرسل إليه وتوجيهه إلى مراد الشاعر.

بلادي زهرة الدنيا وعود الند

عروس في زمان السلم مسبية

(دواياها حماياها) ودمع القهر فوق الخد[18]

وظَّفَ الشاعر اللفظين (دماياها حماياها) من اللهجة الفلسطينية المحلية، وتعني كثرة الدماء التي أريقت، والدمار الكبير الذي حلّ بفلسطين، مما يشّد انتباه المخاطب ويجعل هذه الصورة المأساوية حاضرة في ذهنه وإن لم يرها.

ويُسجل لهذه الاستراتيجية قُربها من مقصد الشاعر وفهم المخاطب الذي يتجاوب معها بشكل أسرع؛ لأنها تقوم على الصراحة ولا تحتاج إلى تأويل مُملّ. فخطاب الشاعر واضح؛ والحق لا يُفنى ولا يُسقط بالتقادم، فتاريخ هذه الأرض لم يشهد استمرارًا لمستعمر.

واعتمدت الاستراتيجية التوجيهية على البساطة والوضوح في إيصال الفكرة، وقد صرّح بهذا المبدأ أحد أبرز شعراء المقاومة في شعره، يقول درويش:

قصائدنا بلا لون

بلا طعم بلا صوت

إذا لم تحمـــــــل المصبـــــــاح من بيت إلى بيت

وإن لم يفهم البسطاء معانيها

فأولى أن نذريها

ونخلد نحن للصمت[19]

يُصرّح درويش في هذا المقطع عن استراتيجيته التوجيهية في شعره المقاوم القائمة على انتقاء الألفاظ الشعرية المُوحية والبعيدة عن التعقيد والغموض وتوظيف الألفاظ المباشرة في المعنى، والقريبة من وجدان الجماعة وتوجه سلوكهم.

ومع اشتداد المعركة مع الاحتلال طوَّرَ شاعر المقاومة خطابه الشعري وأدواته اللغوية وأصبح أكثر إلمامًا بسياق أطراف الخطاب مما دفعه إلى السعي من أجل تحقيق أهداف أخرى غير المُعلن عنها، فلجأ إلى الاستراتيجية الإقناعية التي وسَّعَ فيها مهاراته وأدواته من جانب، واللعب على العواطف ومخاطبة الضمير الإنساني ومحاولة الإقناع من جانب آخر في الفترة الممتدة ما بعد النكسة 1967 مرورًا بالانتفاضتين الأولى والثانية، وواكبت هذه

(18): زياد، توفيق. الديوان، مرجع سابق، 30.

(19): درويش، محمود. الديوان. مرجع سابق، ص 54.

الاستراتيجية المستجدات، والتطورات المتلاحقة على صعيد القضية الفلسطينية؛ لتشمل المقاومة النفسية، والسياسية، والثقافية؛ لاتساع دائرة المواجهة مع المحتل الذي عَمَدَ إلى طمس وتهويد ما بقي من أرض، وإنسان في فلسطين.

2.2 الاستراتيجية الإقناعية

يتضمن هذا الجزء العلاقات اللغوية وأدواتها في الاستراتيجية الإقناعية التي وظفها شاعر المقاومة في شعره، كتوظيف الأدلة والحجة بهدف تحقيق الإقناع، فالحجاج من وظائف اللغة الأربع الوصفية، والإشارية، والتعبيرية[20] بغرض تقوية المعنى، وإقناع المتلقي.

ويخاطب الشاعر في هذه الاستراتيجية عقل المتلقي بالحجة والدليل في سبيل الإقناع والتأثير بحيث لا يترك مجالا للشك، أو التساؤل؛ لإحداث التغيير في الرأي العام العالمي والرأي المحلي، وهذا يفرض على شاعر المقاومة التأني والدقة في اختيار أدواته اللغوية وفق طبيعة الموقف والسياق، كما غيَّر آلية حجته بما يناسب واقع المجتمع، وما يشمله من آمالهم وتوقعاتهم فلكلّ واقع حجة تختلف عن سابقاتها[21] بما يناسب حالة المتلقين النفسية والشعورية.

وكما تستند الاستراتيجية الإقناعية بشكل رئيس لدى شاعر المقاومة الفلسطيني على مخاطبة الجانب الفكري للمخاطب، وإخباره بالواقع إلى جانب إثارة العاطفة فيه، يقول درويش:

يا نوح
هبني غصن زيتونٍ
ووالدتي.. حمامهْ!
يا نوح
لا ترحل بنا
إن الممات هنا سلامهْ
إنا جذور لا تعيش بغير أرضٍ
ولتكن أرضي قيامه[22]

يخاطب الشاعر فكر مخاطبه، ويعتقد أن الموت على أرض فلسطين حياة، والعيش خارجها هو الموت الحقيقي، وهذا تعبير يتخطى حدود الفهم البسيط إلى معنى أبعد يتمثل في الصمود والالتحام بالأرض رغم الظروف القاهرة في الوطن المحتل إلا أنها حياة مقارنة بالموت الذي ينتظره بعيدًا عن الوطن وإن وُجدت المغريات.

(20): يُنظر: الشهري، عبد الهادي، مرجع سابق، ص 457.

(21): يُنظر: الأمين، محمد. مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم المعرفة، العدد 3، 53-94، 2000.

(22): درويش، محمود. الديوان. مرجع سابق، ص 110-111.

ويلجأ الشاعر المقاوم في هذه الاستراتيجية إلى افتراض واقع أكثر مأساوية من الحال الذي يعيشه الفلسطيني إذا ما تنبه إلى خطورة واقعه؛ وذلك بمخاطبة العقل بالحجة المنطقية التي تمثل حقيقة هذا الاحتلال، وأهدافه المستقبلية الرامية إلى تذويب الهوية الفلسطينية، واللغة الوطنية، يقول سميح القاسم:

ما دامت في بلدي كلمات عربية
وأغانٍ شعبية!
ما دامت مخطوطة أشعار
وحكايا عنترة العبسي
ما دامت لي.. نفسي
أعلنها في وجه الأعداء!
أعلنها حربًا شعواء
باسم الأحرار الشرفاء
عمالًا.. طلابًا.. شعراء[23]

يُحذّر الشاعر من محاولة الطمس للهوية، واللغة العربية التي يسعى الاحتلال إلى مصادرتها وطمسها؛ ليصبح الفلسطيني فاقدًا للأرض والهوية مما يسهّل على الاحتلال بسط سيطرته على الأرض والإنسان. ويخاطب الشاعر المقاوم الضمير الإنساني في موضع آخر ويُحملّه جزءًا من المسؤولية الأخلاقية تجاه الشعب الفلسطيني، يقول سميح القاسم:

من هنا
من طهر الأحزان
في الأرض الكليمة
أيها العالم
تدعوك العصافير اليتيمة
من هنا
من غزة الثكلى
ومن جنين
والقدس القديمة
يا إله المجد! جُربنا طويلا..
فأعدنا!![24]

(23): القاسم، سميح. الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 117-118.
(24): المرجع نفسه، ص 272.

ومن آليات هذه الاستراتيجية طرق المسلّمات سواء الدينية، أم العرفية كالحكمة، أم الأمثال المتوارثة التي يعتنقها المخاطب، أم يُجمعُ عليها المجتمع الفلسطيني، إذ تُشكّل هذه الآلية ركيزة قوية يستند إليها شاعر المقاومة في توجيه خطابه، وإقناع المتلقين به، يقول درويش:

الوحش يقتل ثائرا والأرض تنبت ألف ثائر

فيا كبرياء الجرح لو متنا لحاربت المقابر(25)

يؤكد الشاعر حقيقة من المسلّمات التي يؤمن بها الشعب الفلسطيني، فلا تنتهي القضية بموت ثائر، بل ستبقى روح التضحية، والفداء حتى لو بقيت المقابر تحارب وحدها، فكل قبر أنبت ألف ثائر في الثرى، وهذه حقيقة يؤمن بها الشعب الفلسطيني الذي يزداد خصوبة وإنجابًا مع كل شهيد يرتقي ويترك خلفه من يكمل المسيرة كأنه حبة قمحٍ سقطت في الأرض وأنبتت سنبلة تمتلئ بالقمح، كما في قوله:

وفي جثتي حبَّةٌ أنبتت للسنابلِ

سبعَ سنابلٍ، في كلِّ سنبلةٍ ألف سنبلة... (26)

ويُعدّ الاستفهام من آليات الاستراتيجية الإقناعية؛ لأنه يوصل المخاطب إلى قناعةٍ بما يقوله المرسل إذا لم يختلفا على المضمون، تقول فدوى طوقان:

على أبواب يافا يا أحبائي

وفي فوضى حطام الدور

على أطلال من رحلوا وفاتوها

تنادي من بناها الدار

وقال القلب: ما فعلت؟

بك الأيام يا دار

وأين القاطنون هنا

وهل جاءتك أخبار

فأين الحلم والآتي وأين همو

وأين همو؟(27)

(25): درويش، محمود. الديوان. مرجع سابق، ص 213.

(26): المرجع نفسه، ص 552.

(27): طوقان، فدوى. الأعمال الشعرية الكاملة. لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993، ص 394.

يثير هذا الاستفهام الأجوبة في ذهن مخاطبه مع علم الشاعر أن مخاطبه لا يجهلها؛ ولكن هذا يقود المخاطب لقناعةٍ كاملةٍ بهذا المصير الذي يجمع الشاعر مع شعبه، فمن كان يقطن هذه الدار شُرِّدَ وضاع في غياهب المنفى إلا أن الاستفهام في نهاية المقطع (أين همو) يُبقي الباب مفتوحًا أمام رجعةٍ قريبة لهذه الدار.

وتُعدّ الاستعارة من آليات الشاعر في الإقناع لقوة الحجة في الاستعمالات الاستعارية في الخطاب وتعميق الدلالة، وهذا يُبرز دور البلاغة وقدرتها على تدعيم بلاغة الحجاج، ومد الجسور بين المقاربة البلاغية، والعمل الأدبي، وجعلها أكثر قوة من استخدامها في المعنى الحقيقي[28]، وتتجاوز الاستعارة حدود المعنى الحقيقي إلى ما هو أبعد مما يجعل الرسالة أكثر تأثيرًا في المخاطب، يقول هارون هاشم رشيد:

يا عيد كيف على الديــار تعودْ والبؤس ملءُ يديك والتنكيـــد
تبكي ذراها الشامخات تحســرا وتنوح من فرط العناء حـــدود
وطني..وبي شوق إليك يهزُّني وطني وعيدي أنت يوم تعـــود[29]

بلغ الشاعر قمة التأثير في المتلقي المحروم من بلاده عندما شبّه قمم بلاده بالأم التي تبكي شوقًا لأبنائها المشردين في كل الأقطار، فحذف المشبه به (الأم) وترك شيئا من لوازمه (البكاء) على سبيل الاستعارة المكنية يشحن هذا التشبيه شوقَ المغتربين لوطنهم، ويدعوهم للتفكير في العودة لهذه القمم التي ترقبهم بلهفة واشتياق.

إنّ مثل هذه الصورة وغيرها من الصور في شعر المقاومة يظهر وظيفتها الإقناعية، وتأثيرها في المتلقي لتدعيم قناعاته والتأثير في قدرته على اتخاذ القرارات الملائمة لمقصود الخطاب[30] فالصورة والتشبيه يذوب في السياق التواصلي بين طرفي الخطاب، وتتجاوز الحدود الذاتية للشاعر إلى الحدود الكلية التي تجمعه مع أبناء شعبه المعذَّبين.

كما تسهم أساليب البيان من: طباق ومقابلة في الإقناع الذي أبدع فيه شاعر المقاومة لإقناع المخاطب، والتأثير فيه، يقول عبد اللطيف عقل[31]:

في الليل تطفئُ الشموعْ
ويغرق الوجود في الظلام
كل الوجودِ

(28): يُنظر: مشبال، محمد. البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب. القاهرة، دار العين، 2010، ص 19، ويُنظر أيضًا: لوجيرن، ميشيل. الاستعارة والحجاج. مجلة المناظرة. العدد 4، 85-90، 1991، ص 87.

(29): رشيد، هارون. الديوان، مرجع سابق، ص 390.

(30): يُنظر: مشبال، محمد، مرجع سابق، ص 106.

(31): وُلد عبد اللطيف عقل في دير استيا قضاء مدينة سلفيت سنة 1942، تخرّج في جامعة دمشق قسم الفلسفة، عمل مُدرّسًا في كلية النجاح بنابلس، من أعماله الشعرية: شواطئ العمر، قلب البحر الميت، يُنظر: شراب، محمد. شعراء فلسطين في العصر الحديث. الأردن، دار الأهلية، 2006، ص 264.

والقصور والخيامْ
في الليل تصمتُ الآذان والشفاه
وكل كائنٍ يضيع
لا فرق بين الصيف والربيع
في الليل يرجع القطيع[32]

يُظهر الطباق بين كلمتي (الصيف، والربيع) فصول المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في ظل انتهاكات الاحتلال ووحشيته التي لا تختلف في كل الأوقات، كما شبهه بقطيع الذئاب الذي يتقن الغدر والقتل في الظلام، وهذا لا يقتصر على أحد، بل إنه يشمل كل فئات الشعب الفلسطيني سواء كان يسكن قصرا أم خيمة من وجهة نظر الشاعر، فالكل عرضةٌ لهذا القاتل المتوحش، ويتعزز هذا الإقناع بضمير المتكلم الجمعي (نحن) الذي يعني المصير المشترك مما يدمج المخاطب مع الشاعر ويقنعه.

ومن الأدوات اللغوية الأخرى التي وظّفها شاعر المقاومة الفلسطيني في الاستراتيجية الإقناعية المشتقات، مثل: اسم المفعول، يقول يوسف عبد العزيز[33]:

وأعرف يا وطن الفقراء
بأنَّك كنت الموزَّع في لحمنا
والمعذَّب في سجنهم
ما جاءني وجهك
المتفتِّح بالنرجس المشرق
المتدثِّر بالفرح الأزرق[34]

وظّف الشاعر اسم المفعول (الموزَّع، المعذَّب) للدلالة على الثبوت والدوام في وصف حال الشعب الفلسطيني الموزَّعُ على أصقاع الأرض، والمعذَّبُ أينما وُجد، وهذا أمر يثبته واقع شعبه المُشرّد وأرضه المقطعة بفعل الاحتلال.

وفي موضعٍ آخر يُوظّف الشاعر المقاوم اسم الفاعل الدال على الاستمرارية والدوام، يقول سميح القاسم:

هذي الحروف المدلهمَّه يا سيدي أحزان أمَّهْ
سطَّرتها بتمردي في فجر آتٍ لم أضمهْ

(32): عقل، عبد اللطيف. الأعمال الشعرية الكاملة. فلسطين، بيت الشعر، 2014، ص 71.

(33): وُلد يوسف عبد العزيز عام 1956 في بيت عنان محافظة القدس، ومما صدر له الخروج من مدينة الرماد، ونشيد الحجر، يُنظر: شراب، محمد، مرجع سابق، ص 489.

(34): عبد العزيز، يوسف. ديوان ذاكرة للدماء. فلسطين، وزارة الثقافة، 2013، ص 605-606.

وبهـــا أروي غرســـــــة بلظى جحيمك مستحمهْ
يا سيــدي أنا لــن أجـوع وبي من الأحقاد تخمه
فاشحذ مداك على جراحي إننــي قربان كلــمهْ[35]

جاء اسم الفاعل (آتٍ) دالا على الاستمرارية في رغبة المشردين للعودة إلى وطنهم، وصاحب اسم الفاعل الاسم (فجر) للربط الدلالي بين اقتراب الفرج ودلالة اسم الفاعل(آتٍ).

وفي سبيل إقناع المخاطب بالتضحية، وفضل الشهداء، يقول درويش:

آتي من الشـهداء
إلــى الشــهداء
أنا المتكلم الغائب
أنا الحــاضـــر
أنـــا الآتـــي[36]

فلا فرق بين الشهيد والحي كما يريد أن يقول الشاعر، ويؤكد هذا باستخدام اسم الفاعل (المتكلِّم الغائب، الحاضر، الآتي) الذي يجسِّد هذا الاندماج بين الحاضر الحي، والشهيد الحي والمصير المشترك بينهما في سبيل إقناع المخاطب وتوجيهه للدفاع عن أرضه.

ويُوظّف الشاعر أدوات التوكيد كإحدى آليات الإقناع في خطابه الشعري بما يتناسب ويتلاءم مع أحوال المخاطب، يقول درويش:

آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبة
وأنا لست مسافر
إنني العاشق والأرض حبيبة[37]

تعامل الشاعر مع حال مخاطبه في جميع حالاته موظفًا أدوات التوكيد بما يتناسب مع الوضع النفسي للمخاطب، فجاء الخبر طلبيًا مؤكدًا بأداة التوكيد (إن) ليثبت للمخاطب المتردد صدق شعوره في تلك العلاقة الحميمة التي يجاهر بها درويش مع وطنه.

والرمز من الآليات الإقناعية التي وظّفها شاعر المقاومة كوسيلة يعمدُ إليها بديلًا عن المباشرة تحديدًا في هذه الفترة التي أصبح فيها شعراء المقاومة مستهدفين من الاحتلال، يقول سميح القاسم:

(35): القاسم، سميح. الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 90.
(36): درويش، محمود. الديوان. مرجع سابق، ص 569.
(37): المرجع نفسه، ص 347.

أنا والسيول المستميتة
في سفرة لا تنتهي...حتى نعيد إلى الحدائق
حسونها المنفيَّ.. والجذر (المترمِّد) في الحرائق
حتى يشب اللوز والزيتون والتفاح
في جرح الخنادق
وتفجِّر الألغام أنهارا..
وتخضر المزارع[38]

رمز الشاعر للثورة بالسيول التي ستعيد الحياة من جديد للوطن، وأشجاره وسهوله، كما رمز للمشرد الفلسطيني بالحسون، وفي المقابل يُوجد الشاعر صورة مقابلة من الرموز لخلق معادل نفسي يمثل الأمل، وعدم الاستسلام، فاللوز سيشب في جرح الخنادق، وستخضر المزارع، ليصبح اللوز والزيتون رمزا لعودة الحياة، والخنادق الحضن الدافئ الذي سيحتضن الجذور وينميها.

3. الخاتمة:

كانت الاستراتيجية الخطابية ضرورة مُلحة لشاعر المقاومة الفلسطيني بسبب سياسة الاحتلال الفكري الذي عمل على تشويه القناعات، لذلك استعان شاعر المقاومة بنماذج المقاومة العالمية التي انتصرت؛ لتوجيه مخاطبيه وإخراجهم من دائرة الإحباط التي عاشوها نتيجة ممارسات الاحتلال من جهة، وتراجع حضور القضية الفلسطينية على المستوى القومي والعالمي من جهة أخرى.

كما شكلت الاستراتيجيتان التوجيهية والإقناعية لفهم مقصد المرسل، ومن خلالهما يمكن الكشف عن طبيعة العلاقة بين الخطاب، والسياق الذي جاء فيه.

جاء التقسيم السابق للاستراتيجيات الخطابية بناءً على اجتهاد أخضع شعر المقاومة الفلسطينية لدراسة مُعمّقة منذ نشأته، كما أن تصنيفهما كما ورد سابقًا أمرٌ نسبي، فبعض شعراء المقاومة استخدم الاستراتيجيتين معًا وفق طبيعة المقصد، أو المقاصد التي ينوي نقلها للمرسل إليه، وعليه قد تتخطى الاستراتيجية الحدود الزمانية التي أشرت إليها سابقًا بما يُلبي أهداف الشاعر.

أصبح الشاعر المقاوم أكثر صلابة وحدّة وارتقى لمستوى المسؤولية وواجه كل الصعاب متحديًا ومؤمنًا بعدالة قضيته، فوظّف كل الآليات التوجيهية والإقناعية في شعره المقاوم للدفاع عن قضية شعبه، وما يحيط به من أحداث وتحولات خطيرة.

(38): القاسم، سميح. الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص 197.

يُلاحظ أن الشـــعراء قد وظّفوا كلَّ إمكانياتهم اللغوية وحجتهم في ســـبيل إقناع المخاطب المُثقل باليأس والعجز أمام التحديات الخطيرة الذي تكالبت فيه قوى الظلام والقهر عليه وعلى قضـــيته، وعليه قابل شـــاعر المقاومة ذلك بمزيد من القوة والإصرار خصوصًا وأنه تجرَّع من كأس التشريد والنفي الذي عاشه شعبه فانطلق من مرارة المنفى وإيمانه بالعودة مُعبرًا عن ذلك بصـــدق شـــعره وتأثيره الذي اخترق كل الحواجز التي صـــنعها الاحتلال.

كما نلاحظ أن شعراء المقاومة في الاستراتيجيتين لجأوا إلى توظيف الرمز وتجنب التعبير المباشر أمام ممارسـات التعذيب والاعتقال التي ينفذها الاحتلال من اغتيال واعتقال على غرار ما حصـل مع غسـان كنفاني وناجي العلي ودرويش، وغيرهم من أصحاب الكلمة والرأي الذين قاوموا الاحتلال.

المصادر والمراجع:

الأمين، محمد. مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة. *عالم* المعرفة، العدد 3، 53–94، 2000.

درويش، محمود. الديوان. بيروت، دار العودة، 1994.

رشيد، هارون. الديوان. فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين، 2015.

زياد، توفيق. الديوان. رام الله، وزارة الثقافة الفلسطينية، 2016.

سعيد، محمد. الشعراء في فلسطين 48 –1948–2016. فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين.

شراب، محمد. شعراء فلسطين في العصر الحديث. الأردن، دار الأهلية، 2006.

الشهري، عبد الهادي. استراتيجيات الخطاب. لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004.

طوقان، فدوى. الأعمال الشعرية الكاملة. لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.

عبد العزيز، يوسف. ديوان ذاكرة للدماء. فلسطين، وزارة الثقافة، 2013.

عقل، عبد اللطيف. الأعمال الشعرية الكاملة. فلسطين، بيت الشعر، 2014.

الكرمي، عبد الكريم. النسر العربي، بيروت، دار العودة، 1987.

لوجيرن، ميشيل. الاستعارة والحجاج. *مجلة المناظرة*. العدد 4، 85–90، 1991.

مان، فولفجانج. مدخل إلى علم اللغة النصي. (ترجمة: فالح العجمي)، السعودية، جامعة الملك سعود، 1996.

القاسم، سميح. الأعمال الكاملة. القدس، دار الهدى، 1991.

مشبال، محمد. البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب. القاهرة، دار العين، 2010.

مهنا، سامي. مختارات من شعر المقاومة الفلسطينية في الداخل (48)، فلسطين، الاتحاد العام للكتّاب العرب الفلسطينيين.

هلال، ناجي. أثر النكبة في الشعر الفلسطيني، مؤتمر الأدباء العرب الخامس، بغداد، 1965.

المرجع الأجنبي:

Grice, Paul. Studies in the Way of Words. Harvard University Press, 1989.